﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤﴾ [طه: 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد تخافتِهم وإسرارِهم القولَ الإخبارُ عن علم الله تعالى بسرائرِهم وتخافتهم

لمّا حكى النَّظمُ الجليلُ أنَّ المجرمين يتخافتون بينهم، متسائلين عن مدَّة لبثهم في الدُّنيا أو في القبور؛ أتبعه ببيان أنَّ الله تعالى عالمٌ بما يقولون، ويتجادلون به، وإن أسرّوا، وتخافتوا بذلك القول، فأتبع تساؤلهم حال تخافتهم بتأكيد علمه بالحقيقةِ على جهة الحصرِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَمۡثَلُهُمۡ﴾: (مثل) أصْلٌ يَدُلُّ على مُناظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وهَذا مِثْلُ هَذا، أيْ: نَظيرُهُ، وفُلانٌ أمثَلُ بَني فُلانٍ: أدْناهُم لِلْخَيْرِ، أيْ: إنَّهُ مُماثِلٌ لِأهْلِ الصَّلاحِ والخَيْرِ، وهَؤُلاءِ أماثِلُ القَوْمِ، أيْ: خيارُهُم[2]، والأمثلُ يعبَّرُ به عن الأشبه بالأفاضل، والأقربِ إلى الخير، وأماثِلُ القوم: كنايةٌ عن خيارهم، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾، وقال: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾ [طه: 63] أي: الأشبه بالفضيلة، وهي تأنيث الأمثل[3]، والأمثَلُ: الأفْضَلُ الَّذي يَسْتَحِقُّ أن يُقالَ: هُوَ أمثل قَوْمِه، وهُوَ مِنْ أماثِلِهم وذَوي مَثالَتِهم، يُقالُ: فُلانٌ أمثَلُ مِنْ فُلانٍ، أي: أفضل مِنْهُ[4]، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾، مَعْناهُ، أي: أعدلُهم رأيًا وعملًا[5].

2) ﴿طَرِيقَةً﴾: (طرق) الطَّريقُ: السَّبيل الَّذي يُطرَقُ بالأرجُلِ،

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 150.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(3) الرّاغب، المفردات: (مثل).
(4) ابن منظور، اللّسان: (مثل).
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.

أي: يُضرَب، وعنه استعير كلُّ مسلك يسلكه الإنسان في فِعلٍ، محمودًا كان أو مذمومًا، قال تعالى: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾ [طه: 63][1]، والطَّريقة: السّيرةُ، وطَريقَةُ الرَّجُلِ: مَذْهبُهُ، يُقالُ: ما زالَ فُلانٌ على طَريقةٍ واحِدَةٍ، أي: على حالَةٍ واحِدَةٍ، وفُلانٌ حَسَنُ الطَّريقة، يُقالُ: هُوَ على طَريقة حسَنة وطَريقة سَيِّئة، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: 16]، أراد لَوِ اسْتَقامُوا على طَريقة الهُدى[2]، والمراد به في الآية الكريمة الرَّأْيُ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حصرُ العلم بمدَّة لُبثهم بالله تعالى، وكونها مدَّةً قصيرة جدًّا

لما كان عِلمُ ما يأتي أخفى من علم ما سبقَ؛ أتى النَّظمُ الكريم فيه بمظهر العظمةِ، فقال: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ﴾ من كلِّ أحد ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾، أي: في ذلك اليوم ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾ في الدُّنيا فيما يحسبون[4]: ما لبثتم إلّا يومًا واحدًا؛ وذلك لأنَّ الدُّنيا - وإن تكرَّرت أوقاتها، وتعاقبت لياليها وأيامها - قصيرةُ المدى، بالنَّظر إلى يوم القيامة[5]، أي: "نحن وحدنا أعلم بما يقولون فيما بينهم، لا يخفى علينا شيء ممّا يتخافتون به، من شأن مدَّةِ لبثهم في قبورِهم أو في الدُّنيا"[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصل صدرِ الجملةِ عمّا قبلَها:

كثمُ الحديثِ ومخافتتُهُ لا يخرجُهُ عن علم الله تعالى

فصل النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ لأنَّها استئنافيَّة جيء بها للاعتراض، فهي جملة وقعت بين الفعل في قوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرًا﴾، وبين

(1) الرّاغب، المفردات: (طرق).
(2) ابن منظور، اللّسان: (طرق).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 305.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 343.
(5) المراغيّ، تفسير المراغي: 16/ 150.
(6) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 9/ 150 - 151.

الجملة في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾، أي: إنَّهم يقولون ذلك سرًّا، ونحن أعلم به، فنخبر عنه إخبارَ العليم الصّادق[1]، وفائدةُ وقوعها بين الجملتين المتفرّعتين بيانُ أنَّ قولهم ذلك سرًّا غير غائب عن علم الله تعالى، وأنَّه محيط بهم، فلا يغيب عنه شيء من حالهم ومن مقالهم.

سرُّ تقديمِ المسند إليه ﴿نَّحْنُ﴾ على المسندِ:

العلمُ بمدَّةِ لبثهم وسِرِّهم منحصرٌ على الله تعالى

قدَّم النَّظمُ الجليل المسند إليه على المسند، في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ للدَّلالة على الاختصاص والحصر، فالله تعالى وحده هو العالم بما تساءلوا عنه، فأفاد ذلك تعظيمَ علمه تعالى، والله تعالى بعظمته هو العالم بمقالهم وحالهم؛ وذلك لأنَّ العلم بما يخفى من القول دليلُ عظمةِ الإحاطة والدّراية بهم[2].

دلالةُ صيغةِ أفعل في قوله: ﴿أَعْلَمُ﴾:

علمُ الله تعالى مطلقٌ مؤكَّد، لا يتأتّى أن يُفاضِل مع علم سواه

عبَّر النَّظمُ الجليل عن علمه بصيغة (أفعل)، في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، وهو اسمُ تفضيل للدَّلالة على أنَّ الله تعالى أعلم منهم بحقيقة ما يتخافتون من أجله، فإن كان عِلمهم بمدَّة لبثهم مستندًا على الظَّنِّ والتَّخمين؛ فإنَّ علم الله تعالى محيطٌ بكلِّ شيء على الوجه التّامِّ، من اليقين المطلق، فعلم الله تعالى لا يقارن بعلم أحد آخر، فالمرادُ من اسم التَّفضيل هنا ليس المفاضلة، بل تأكيد المعنى وتقويته، بإخراجه بصيغة الفوقيَّة، الدّالَّة على علوِّ الصِّفة في الموصوف.

نوع ﴿بِمَا﴾ في قوله: ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ وأثرها في المعنى:

دوامُ قولهم وتجدُّده لا يخرج عن علم الله مهما تكرَّر وتجدَّد

عبَّر النَّظمُ الجليل بالمصدر المؤوَّل من الحرف المصدريِّ (ما)[3]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 306.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 343.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 422.

والفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الله تعالى عالمٌ بقولهم المتجدِّد المستمر، فعلم الله تعالى حاصل بكلِّ قول يقولونَهُ في كلِّ وقت، فكلَّما أحدثوا قولًا جديدًا؛ كان الله تعالى عالمًا بهِ، فكان التَّعبيرُ بـ (ما) المصدريَّة مع الفعل المضارع دالًّا على ذلك، ولو جاء التَّعبيرُ بالمصدر الصَّريح، بأن يقول: (نحنُ أعْلَمُ بِقَوْلِهم)؛ لما دلَّ على الزَّمن المتجدِّدِ.

فائدةُ ﴿إِذْ﴾ وبيانُ متعلَّقها في ﴿إِذْ يَقُولُ﴾:

تخافُتُ قولِهم عند حديث أفضلِهم رأيًا

عَبَّر النَّظمُ الجليل بظرف الزَّمان ﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، وهو متعلِّقٌ بالفعل ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم يتخافتون في وقت يقول فيه أمثلهم طريقةً ذلك القولَ[1]، وهو ليس متعلِّقًا بـ ﴿أَعْلَمُ﴾؛ لأنَّ علمَ الله تعالى لا يحدُّه زمان.

نكتةُ إسنادِ القولِ إلى أمثلهم:

ضلالُ راجحِ الرَّأي في ذلك اليوم مفصحٌ عن شدَّة أهواله

أسندَ النَّظمُ الجليل فعلَ القول إلى أمثَلِهم، في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، إيماءً إلى شدَّة الهول في ذلك اليوم، وليس المُرادُ تزكيتَهُ والثَّناء عليه بما قال، ولا الإخبار بأنَّه أقربُ إلى الصِّدق[2]، فغيابُ معرفة الحقِّ عن أفضلِهم رأيًا تعبيرٌ بليغٌ عن شدَّة أهوال القيامة، حيث نسوا مقدارَ لُبْثِهم، لشدَّةِ ما دهمهم من هولٍ في ذلك اليوم[3].

سرُّ إيثارِ لفظ ﴿طَرِيقَةً﴾ دون غيرِهِ:

حُسنُ الرَّأي معتادٌ لدى الأمثل، فإذا اختلطَ رأيُهُ؛ غاب عنه الصَّوابُ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ ﴿طَرِيقَةً﴾ دون غيره في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾؛ تعبيرًا عن سيرته وسلوكه، وللدَّلالة على شهرته في أفضليَّتِهِ، حيث عبَّرَ عن مكانة رأيه بأنَّها كالطَّريق

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 305.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.
(3) الخازن، لباب التّأويل: 3/ 212.

الذي يسلكه النّاس، ويطرقونه بأقدامِهم حتّى صار واضحًا بيِّنًا، فلفظ الطَّريقة في الآية تأكيدٌ لمكانته وأفضليَّته وأرجحيَّة عقله ورأيه على قومه.

بلاغةُ ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ بين الحقيقةِ والمجاز:

ضلَّ قولهُم عن الحقِّ في كلِّ حال مبين عن المراد

أوردَ النَّظمُ الجليل التَّعبيرَ في قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، محتملًا لأن يكونَ مرادًا به الحقيقة، وأن يكون مرادًا به المجاز، فإنْ حُمِل على الحقيقة؛ يكون المعنى: إنَّه أقربهم إلى اختلاق الاعتذارِ عن خطئهم في إنكارهم البعثَ؛ وذلك أنَّهم قد ظنّوا أنَّ البعث يقع بعد مدَّةٍ طويلة، بحيث تتلاشى فيها أجزاءُ الجسم، فلمّا وجدوا أجسادهم كاملةً؛ قال بعضهم: إن لبثتم إلّا عشرَ ليالٍ، ولم يكن هذا عذرًا حسنًا؛ لأنَّ هذه مدَّةٌ تتغيَّر فيها الأجسامُ، فقال أمثلُهم: إن لبثتم إلّا يومًا واحدًا، وقوله هذا أنجعُ في الاعتذار، فالمراد: أنَّه الأمثلُ من بينهم في المعاذير، وليس المراد أنَّه مصيبٌ، وإن حُمِل على المجاز، فهو تهكُّمٌ بالقائل في سوء تقديره من لبثهم في القبور، فكلا التَّقديرين خطأٌ، وهذا يؤذن بجهلهم عمومًا، ويدلُّ على جهلهم بعظيم قدرة اللّه تعالى خصوصًا، حيث أعادهم إلى الحياة بعد الأزمان الطَّويلة، فكان الَّذي قدَّر زمن المكث في القبور بأنَّه كان يومًا واحدًا أكثرَ خطأً من غيره، فعبَّر عنه بـ ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ تهكُّمًا به[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأمثل والأفضل:

الأفضلُ يزيدُ عن غيره بالصِّفة، والأمثلُ أكمل في الأفضليَّةِ

الأمثلُ يَدُلُّ على مُناظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وهَذا مِثْلُ هَذا، أيْ: نَظيرُهُ، وفُلانٌ أمثَلُ بَني فُلانٍ: أدْناهُم لِلْخَيْرِ، أيْ: إنَّهُ مُماثِلٌ لِأهْلِ الصَّلاحِ والخَيْرِ، وهَؤُلاءِ أماثِلُ القَوْمِ، أيْ: خيارُهُم[2]، والأمثلُ يُعبَّر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 306.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).

به عن الأشبه بالأفاضل، والأقرب إلى الخير، وأماثِلُ القوم: كنايةٌ عن خيارهم، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، وقال: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: 63]، أي: الأشبه بالفضيلة[1]، والأمثَلُ: الأفْضَلُ الَّذي يَسْتَحِقُّ أن يُقالَ هُوَ أمثل قَوْمِهِ، وهُوَ مِنْ أماثِلِهم وذَوي مَثالَتِهم، يُقالُ: فُلانٌ أمثَلُ مِنْ فُلانٍ، أي: أفضل مِنْهُ[2]، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ مَعْناهُ، أي: أعد لهم رأيًا وعملًا[3]، أمّا الأفضل؛ فيَدُلُّ على زيادَةٍ في شَيْءٍ، مِنْ ذَلِكَ الفَضْلُ: الزّيادَةُ والخَيْرُ[4]، فالأفضل يدلُّ على زيادة عن غيره في صفة ما، وأمّا الأمثل؛ فهو أفضلُ مع زيادة معنًى، وذلك أنَّه يدلُّ على أنَّه الأكمل في تلك الصِّفة التي وقع فيها التَّفضيل.

(1) الرّاغب، المفردات: (مثل).
(2) ابن منظور، اللّسان: (مثل).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 42.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فضل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»